Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i3

الترهيب السياسي في شعر العصر العباسي الأول (132هـ -232هـ)

بسمة علي كصاد

Email ,bassma.ali.ghasad@utq.edu.iq

أ. د. رائد حميد مجيد البطاط

Email ,dr.read.h.albeteat@utq.edu.iq

الملخص

في السياسة لا جدال في العنف فهو وسيلة مقبولة أو حتى ضرورية لتحقيق الهيمنة السياسية وتوطيد أركان السلطة ، وقد تجلى هذا الأمر بوضوح مع بداية صيرورة الدولة العباسية ،التي تبنت أسلوب الترهيب كاستراتيجية لتعزيز نفوذها وإحكام قبضتها على مقاليد الحكم، وتجلى هذا المنطق بوضوح في الخطاب الشعري لتلك الحقبة ، فالمتأمل لطبيعة الخطاب الشعري في العصر العباسي ، لا يسعه إلا أن يلحظ انخراط الشعراء بشكل فاعل في تشكيل المشهد السياسي ، إذ يتماهى الشعراء مع النظام السياسي بما يعزز من قوة الدولة ويدعمها ،فبواسطة اللغة الشعرية تحققت أفعال متنوعة ترمي إلى التأثير في المتلقي وتوجيهه ،كالترهيب والوعد والوعيد والتخويف والإقصاء وغيرها من الآليات التي تسعى إلى تشكيل الوعي الجمعي ،وعلى هذا الاساس حفلت الخطابات الشعرية بالدلالات والصور الترهيبية ومشاهد القتل والعنف التي طالت معارضي السلطة ، لتكون علامة فخر بتحقيقها الانتصار على المعارضين من جانت ، وغرس الخوف والرعب في ذهن كل من يحاول معارضة السلطة من جانب أخر ، فمن خلال الشعر سعت السلطة إلى تشكيل عقول المجتمع وتمرير ما قد تنطوي عليه سياستها من عنف وهيمنة ، وتحاول تبرير افعالها من خلال اسباغها بهالة من القداسة والتأييد الإلهي ، الذي اتخذته كقناع لكل أفعال العنف والترهيب التي تمارسها ، مما يجعل المتلقي في خضوع دائم لها ولسياستها .

الكلمات المفتاحية : كافة الكلمات المفتاحية : الترهيب ، السياسة ، العصر العباسي ، السلطة ، الخطاب الشعري

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i3

Political Intimidation in the Poetry of the Early Abbasid Era (132-232 AH)

Bassma Ali Ghasad
E-mail: bassma.ali.ghasad@utq.edu.iq
Prof. Dr. Raed Hamid Majeed Al-Battat
E-mail: dr.read.h.albeteat@utq.edu.iq

Abstract

In politics, there is no debate about violence, as it is an acceptable or even necessary means to achieve political hegemony and consolidate the pillars of power. This matter was clearly evident with the beginning of the Abbasid state, which adopted the method of intimidation as a strategy to enhance its influence and tighten its grip on the reins of government. This logic was clearly evident in the poetic discourse of that era. Whoever contemplates the nature of poetic discourse in the Abbasid era cannot help but notice the poets' active involvement in shaping the political scene, as poets identify with the political system in a way that enhances and supports the state's power. Through poetic language, various actions were achieved that aim to influence and direct the recipient, such as intimidation, promises, threats, frightening, exclusion, and other mechanisms that seek to shape the collective consciousness. On this basis, poetic discourses were full of intimidating connotations and images, and scenes of killing and violence that targeted opponents of the authority, to be a sign of pride in achieving victory over opponents from Gant, and to instill fear and terror in the mind of everyone who tries to oppose the authority on the other hand. Through poetry The government has sought to shape the minds of society and to pass on the violence and domination that its policy may entail. It attempts to justify its actions by imbuing them with an aura of sanctity and divine support, which it has adopted as a mask for all the acts of violence and intimidation it practices, thus making the recipient permanently subject to it and its policy.

Keywords: Intimidation, politics, Abbasid era, power, poetic discourse

في غياهب السلطة يتجلى الترهيب كوسيلة أساسية لتعزيز الهيمنة السياسية ،((فهو منهج أو طريقة عمل مباشر يرمي إلى إثارة الرهبة والرعب، أي خلق مناخ من الخوف والهلع بين السكان)) (الحيدري، 2015) فيسهم في إخماد أي صوت معارض. فالسلطة السياسية مرتبطة بمفهوم الهيمنة، وهذه الأخيرة تخضع في الغالب إلى نسق القوة ، وهو من الأنساق المرتبطة بالسلطة السياسية .

ففي السياسة لا جدال في العنف فهو وسيلة مقبولة أو حتى ضرورية لتحقيق غايات و أهداف السلطة ، وفرض سياستها القمعية على الآخرين، بهدف السيطرة على أفكارهم ومشاعرهم، وإجبارهم على الخضوع لسلطتها والاستسلام لأوامرها، وإنه عنف يمارس بشكل غير مشروع، مدفوع بدوافع وأهداف سياسية، مما يؤدي إلى خلق حالات من الخوف والرعب (خليل، 2022) .

فإنَّ العلاقة بين السلطة والعنف علاقة حميمة بشكل خاص ((فكل مؤسسة سلطوية تحمل في بنيتها جهاز قوة جارحاً ، تمتد آثاره وفاعليته من الفعل الجلي إلى الرمز الخفي، وتتنوّع أشكال حضوره من تجليات القوة إلى فصل الخطاب)) (عناية، 2011)، فهذه القوة التي تمتلكها السلطة أو ما تعرف بالكيفية القسرية التي تلجأ إلى القوة والعنف في ممارسة فعلها وإخضاع الغير لهذه الممارسة (القمودي، 1999).

ومع حدث قيام الدولة العباسية الذي يعد ثورة شاملة ارتكزت على تخطيط محكم ، سعت إلى تأسيس ((كيان مؤسّسي ذي سيادة عليا، لا يقبل المشاطرة مع أي جهة مهما علا شأنها حين يتعلق الأمر بامتلاك عناصر القوة، ولا يحتمل الندية مع أي جماعة مهما عظمت قوتها حين يتعلق الأمر بفرض القانون. ولأجل ذلك هي تتوقع - نظرياً، ومن حيث المبدأ - أن يقابلها المجتمع بمختلف قطاعاته ومكوّناته بمظاهر الولاء لسلطتها، والطاعة لإرادتها، والواجب لحمايتها)) (عباس، 2018) ، فقد عدّ العباسيون انفسهم الوريث الوحيد والشرعي للحكم ، فجعلوا الخلافة تدور في البيت العباسي معتبرين انفسهم سلطان الله وخليفته في أرضه ، فأستمد الخليفة سياسته من الدين ، فلتأسيس دولة قوية يعني أن تلتحم مع عامل روحي وهو عامل الدين لأن((العامل الديني يؤدي دوراً سياسياً حاسماً في طور النشوء لما له من أثر فعال من نواحي عديدة منها اقامة الوحدة والاتفاق)) (البابيري، 2023) ولصيرورة الدولة وفرض قوتها وهيمنتها كان لابد أن تعتمد على نظام فكري ثقافي يبرر أعمال العنف هذه ويمنحها الشرعية ، فلجأت السلطة إلى الخطاب الشعري لتثبيت حكمها ، إذ لايمكن إغفال هيمنة الخطاب وتأثيره على المتلقي فهو يتضمن آليات سلطوية تمنحه القدرة على السيطرة ، فهو يمثل قوة رمزية مقابل القوة المادية.

فالسلطة العباسية استخدمت الخطاب الشعري للتثقيف لها والنيل من الآخر واقصاءه عبر إرهابه وتخويفه وعلى هذا الاساس حفلت الخطابات الشعرية بالدلالات التي تصور الممدوح - الحاكم- فالحاكم الذي يُفضله "ماكيافيلي((أن يكون مرهوب الجانب، قاسيًا شديد العقاب، بما يخيف رعاياه وخصومه معا، عوضا عن أن يكون محبوبا وطيبا ومتسامحا ، بما قد يغريهم بالتطاول عليه)) (سيف، 2007)وهكذا أسس الشعراء خطابهم الشعري المبني على تصوير مشاهد القتل والارهاب بأسلوب خطابي يخدم توجهها العام ، والذي يهدف إلى إرسال رسائل تخويفية وترهيبية لكل من يحاول معارضتها ،

وهذا ما صوره سديف بن ميمون (ت 146هـ) في قصيدته يوم أن دخل على مجلس أبي العباس السفاح بالحيرة وقد جلس بنو أمية حوله فأنشد، يقول (العرداوي، 2012):

أصبح الملك ثابت الآساس	**بالبهاليل من بني العباس**
بالصدور المقدمين قديماً	**والرووس القماقم الرؤاس**
يا أمير المطهرين من الذم	**ويا رأس منهى كل رأس**
أنت مهدي هاشم وهداها	**كم أناس رجوك بعد أياس**
لا تقيلين عبد شمس عثارا	**واقطعن كل رقلة وفراس**
أنزلوها بحيث أنزلها الله	**ه بدار الهوان والاتعاس**
أقصهم أيها الخليفة واحسم	**عنك بالسيف شأفة الأرجاس**

لقد بنى سديف خطابه السياسي على اساس سلطة القوة التي تعتمد على السياسة المرعبة ، التي تتمثل بالحاكم المستبد، وذلك لخلق صورة مرعبة في ذهن المتلقي ، وإن الخطاب الترهيبي الذي قدمه سديف يتخذ اتجاهين: الأول قوله (اصبح الملك ثابت الآساس) هو إرساء دعائم الدولة العباسية وتوسيع نفوذها على حساب الدولة الأموية ، وتأكيد على الأسس السليمة التي قامت عليها الدولة العباسية ، والآخر يتجلى مغزاه في القمع والإرهاب هو مصير كل معارض للسلطة ،وهذا ما أسس له سديف في التعبير عن التطلعات مؤسسًا خطابه على ما قاله السفاح في خطبته **((أنا السفاح المبيح والثائر المبير))** (الطبري، 2003) مما يعكس قناعته بان العنف والترهيب وسيلة مشروعة لتحقيق الأهداف السياسية .

أعتمد الشاعر في توجيه خطابه على البعد الديني لإكساب الخلافة مزيدا من القداسة الدينية ، **(امير المطهرين من الذم ، أنت مهدي هاشم)** ليعزز من شرعيته في الحكم الذي يستمده من الدين ليكون مبررا لسياسة الترهيب العنيفة التي تمارسها ضد الآخر ، فتصوير مشاهد العنف والقتل والتحريض والاقصاء ، فالشاعر يفتخر بقوة سيف الحاكم في قتل المعارضين لسياسته ، فهو يسعى إلى تضخيم الأنا لدى الحاكم وترسيخ فكرة الاستبداد السلطوي، وتبرير استخدام السيف لإخضاع الرعية ، وتأسيساً على ذلك نجح الشاعر في تحقيق هدف السلطة في إثارة الخوف والرعب في نفس الآخر، فهذا الخطاب الترهيبي هو رسالة تهديد والتحذير موجهة من سلطة قوية إلى كل من يفكر في معارضتها والخروج عن سلطتها ، فأنه سيواجه المصيرنفسه ،يتجسد مشهد الترهيب والتخويف في صورة الحاكم المستبد، الذي يحمل سيفه كرمز واضح لسلطة القهر والإرهاب ،إذ يمثل السيف عالمًا يتكون من قوتين متداخلتين: قوة معنوية تُرسخ في نفس المخاطب شعور الرعب والخوف، حيث تصبح صورته مرعبة عندما يرفعه حاكم متسلط يهدد به كل من يتجرأ على التمرد أو مقاومة سياسته القاسية. أما القوة المادية فتتمثل في الاستخدام الفعلي لهذا السيف، حيث يُمارس الحاكم سلطته بشراسة ضد خصومه ومعارضيه، مُجسدًا بذلك حالة من القمع المستمر. وهذا الخطاب أحدث أثراً كبيراً وعملت عمل السحر في نفس أبي العباس ، دافعةً إياه إلى تبني منهج الترهيب الذي يتسم بتصفية حسابات دموية مع رموز الدولة الاموية .

ومـن الخطابـات الشـعرية التـي وظفـت المـديح كـأداة لتمريـر الترهيـب السياسـي قـول بشـار بـن بـرد (ت 168هـ) فـي مدح المهدي ،يقول (عاشور، 2007):

وَلَـــــمْ يَدَعْ أَحَدًا مِمَّنْ طَغَى وَبَغَـــــى إِلَّا تَنَاوَلَهُـــم بِـالكَفَّ فَـــأَحْتُصِـــدُوا

وأنت يـــــا سيـــــد الإسْلامِ سَيِّدُهُـــــمْ وَكُـــلُّ دِينٍ لَـــهُ مِـــــنْ أَهْلِهِ سَنَـــــــدُ

إِنْ فَأَخَـــرُوكَ بِمَجْدٍ كُنـــتَ أَمْجَدَهـــــم وَمَـــا ظَلَمْتَ وَأَنْـــتَ الْمَاجِـدُ النُّجُـــدُ

أَوْ صَالِحُوكَ فَصُلْحُ مَـــــا رَعَـوْكَ بِـــــهِ أَوْ حَارَبُوكَ فَفِـــي سِرْبِـــالِكَ الْأَسَـــدُ

مَـــا اللَّيْثُ مُفْتَرِشًـــا فِـــي الْغِيـلِ كَلْكَلَهُ عَلَـــى مَنَاكِبِهِ مِـــــنْ فَوْقِـــــهِ لِبَـــــدُ

تحفـل هـذه الأبيـات الشـعرية التـي تأسسـت علـى نسـق المـديح بالتهديـد والترهيـب ، ليصـنع خطابـاً قـادراً علـى الولـوج لـذهن المتلقـي وبـث الخـوف والرهبـة فـي نفسية المخاطـب ، ليحقـق غايتـه فـي إخضـاع الرعيـة ، فيقـدم الشـاعر صـورة مرعبـة ودمويـة لقمـع المعارضـين الخـارجين عـن طاعتـه **"إلا تنـاولهم بـالكف فأحتصـدوا"** فيظهـر المهـدي بهيئـة حاصـد الأرواح فـلا يفلـت مـن عقابـه أحـد، ثـم يسـبغ الشـاعر علـى ممدوحـه الشـرعية الدينيـة بوصـفه **"سـيد الإسـلام"** فيجعـل طاعـة الخليفـة مـن طاعـة الإسـلام مشـيراً إلـى حقهـم فـي هـذه الخلافـة ، إذ يحمـل هـذا الخطـاب ترهيبـاً فكريـاً لكـل مـن يخـالف أو يعتـرض علـى سياسـة الدولـة العباسـية ، فأسـتثمر الشـاعر المـدح فـي تثبيـت الحكـم عـن طريـق توظيـف الترهيـب عبـر تقـديس الخليفـة أولا ، وأقصـاء أي صـوت ناقـد لسياسـة الخليفـة ، معـزز ذلـك بصـفات الشـجاعة والنبـل التـي تبـرر لـه كـل أفعالـه ،فهـو لا يظلـم احـدا مـن رعيتـه ، ، فيعمـق الشـاعر صـورة الترهيـب مـن خـلال تصـوير الخليفـة كالأسـد الـذي يـذود ويحمـي مُلكـه ومـن تحـت رعايتـه بكـل قـوة وشراسـة ،ممـا يجعـل خيـال المتلقـي سـواء مـن الرعيـة أو الخصـوم يبـدأ بتضـخيم قـوة المهـدي فـي ذهنـه ، ويجعلـه أمـام ثنائيـة مصـيرية بـين تقـديم الصلح والطاعة والاستسلام للخليفة أو مصيرهم الحرب التي تؤدي لفناء كل من يقبل عليها.

وفي موضع آخر يمجد فيه دموية الخليفة المهدي يقول (عاشور، ديوان بشار بن برد ، 2007):

يَصُبُّ دمـــــاء الراغبين عـــن الهدى كمـــــا صُبَّ مـــــــاء الظبية المترجـرج

فالشـاعر يـؤطر الترهيـب فـي مشـاهد دمويـة تثيـر الرعـب والخـوف فـي نفـس المخاطـب ، ممـا يحملـه علـى تقـديم فـرض الطاعـة للدولـة العباسـية ، وهكـذا نجحـت السـلطة العباسـية فـي اسـتغلال الخطـاب الثقـافي لفـرض الهيمنـة والسـيطرة عبـر تضـمين الخطـاب طبقـات مـن الترهيـب التـي تختـرق ذهـن المخاطـب وقلبـه ، ممـا يعمـق الشـعور بالضـآلة والضـعف أمـام قـوة الخليفـة وجبروتـه ، فيحقـق الشـاعر مـا يطمـح إليـه مـن ثبيـت السـلطة وغـرس ثقافـة الترهيب والتهويل في نفس المخاطب ليرضخ لسلطته وطاعته.

ومن الأبيات المفعمة بالرهبة والعظمة قول الشاعر سلم الخاسر(ت 186هـ) الذي رسم لنا لوحة تُمجد هارون الرشيد من خلال استحضار أسلوب الترهيب في سياق المدح فيقول (العاشور، ديوان سلم الخاسر، 2017):

إنَّ المَنايـــا فِي السُّيُـــوفِ كَوامِـنٌ حَتَّـــى يُهَيِّجَهـــا فَتًـــى هَيَـــاجُ

وَمُدَجَّـجٍ يَغْشَى المَضِيـقَ بِسَيْفِـــهِ حَتَّى يَكُـــونَ بِسَيْفِـــهِ الإفْـــراجُ

وَكَتَائِـــبٍ تَغْشَى العُيُـونَ إذَا جَـــرَى مـــاء الحَـــدِيـــدِ عَلَيْهِـــمُ الرَّجْـراجُ

وَتَفَرَّقَـــتْ زُرْقُ الأَسِنَّـــةِ فِيهِـــمُ تَسْقِي الحنايـــا، مـــا لَهُـــنَّ مِـــزاج

و نَزَلَـتْ نُجُـومُ اللَّيْلِ فَـــوْقَ رُؤوسِهِمْ وَلِكُلِّ قَـــوْمٍ كَوْكَـــبٌ وَهَـــاجُ

يؤسس هذا الخطاب لعظمة هارون الرشيد وقوته عبر آليات الترهيب التي تنبع من الثنائيات الضدية التي تكرس طاقاتها لتجسيد قوة الحاكم، والتي تكمن في **"السيف"** والذي يتحكم في مصير الآخر، فالتضاد بين سبات الموت ويقظة القتل مقترن بسيد الموت **" فتى هياج"** ، فالمنايا تتحرك وفق إرادة الرشيد والموت تحت قيادته ، وعليه فقد منح صورة ترهيبية تثير إحساس الرعب والخوف في نفس المتلقي ، وينتقل ليجسد هذه الصورة فعلاً في الواقع ، فالانتقال من الموت الكامن إلى الانفراج العنيف عبر سيف الرشيد القاهر الذي يقتحم المساحات المحصنة فلا يخشى ما يلاقيه من اهوال لأنه مدجج بالسلاح ،وهذا الفعل البطولي القائم على الترهيب منح الشرعية في **" الإفراج"** والخلاص الذي لا يتحقق إلا بسيف الحاكم ، ثم تصل مشاهد الترهيب ذروتها عبر تشظية كتائب العدو بمفردات صاغ من خلالها دموية الحرب ، ف **" ماء الحديد "** صورة مبتكرة إلى الدماء التي تجري كسيل متدفق من ضرب السيوف الحادة ، والسماء التي تمطر عليهم سهاماً متقدة كالنجوم وكرات المجانيق المتألقة كالكواكب فتحولت المعركة إلى حدث كوني مقرونة بالقدر الإلهي الذي ساعد الخليفة على هذا الانتصار ، وهذه الصور المكثفة _بين الماء والنار والسماء والأرض و الحريق والانصهار _ ليست وصفًا للمعركة بل هي عملية ترويضيَّة تسحقُ إرادة المخالف ، وتجبر المنتسب على طاعتها، فيقدم الولاء للسلطة طوعاً أو قسراً ، فالترهيب هنا ليس مجرد وسيلة لقمع المعارضة فحسب، بل هو عالم يذوب فيه الفرد في السلطة حتى يصبح الخوف من الحاكم ضرباً من ضروب الانتماء والاستسلام والطاعة.

وأن تماهي السلطة العباسية بالمقدس الذي كان من الاستراتيجيات الاساسية التي استخدمتها السلطة لتعزيز شرعيتها وتبرير عنفها تجاه الشعب إذ شهد ((اندغام السياسة بالمقدس حتى باتت قداسة السلطة من المسلمات التي يجب أن تطبع علاقة العامة بالسلطان بطابعها الخاص ، وهي علاقة تؤكد الخضوع التام المتصل بالإجلال، وأن كل عصيان هو انتهاك للقدسيات واعتداء على الشرعية والشرعي)) **(الحسين، 2008)** ،ومن الخطابات الشعرية التي تأسست على هذا النسق ما قاله الشاعر منصور النمري (ت 190 هـ) وهو يمدح هارون ،

إذ يقول :**(العشاش، 1981)**:

إن الخليفـــة هـــــارون الـــذي امتلأت منـــــه القلوب رجـــاء تحته فـــــزعُ

مفروضة في رقابِ النـــــاسِ طاعتـــهُ عاصيـه مـــن ربقـــةِ الإســـلام مُنقطِـــعُ

أيُّ امرِىءٍ باتَ مــنْ هارونَ فــي سخطٍ فــليس بــالصلواتِ الخـمسِ ينتفــعُ

تكشف هذه الابيات عن توظيف المدح كأداةٍ للترهيب ، فيقدم الشاعر صورة مزدوجة لهارون الرشيد تجمع بين **"المنقذ"** و**"الجلاد"** في آنٍ واحد، إذ يظهر كمصدر للخلاص والأمل ،إذ يتحول الخليفة في الخطاب الشعري إلى محور كوني تدار حوله أرزاق الرعية ومصائرها ، لكن هذه الصورة تنقلب إلى خوف ورعب ،وبقوله **(تحتهُ)** وهذا الخوف هو الاساس الذي تُبنى عليه السلطة ، و أن كل ما تقدمه السلطة من الرجاء هو مجرد قناع زائف يخفي تحته واقعًا مرعبًا ، فالشاعر يجعل من طاعة الخليفة مفروضة في رقابهم الخروج عنها بمثابة الخروج عن الدين ، ولا يكتفي الشاعر بترهيب الجسد عبر تبرير العنف ضد المعارضين للسلطة ، بل يضرب أعماق الروح بأبطال قيمة الصلاة-عماد الهوية الإسلامية- إذ اقترنت بسخط الخليفة ، وكأنما الإله ننفسه يرفض عبادة العاصي للخليفة ، وهكذا صاغ الشاعر عقداً دينياً-سياسياً يُبرر الاستبداد ويجعل طاعة الخليفة طقساً مقدساً، ليضمن للسلطة شرعية مطلقة تخفي وراءها قبضة حديدية تسحق كل من يعارضها ويخرج عن طاعتها ، وأن كل هذه المبالغات والمغالاة التي قدمها منصور النمري في مدحه هارون الرشيد لم تكن صادقة إذ لم يكن متحرراً من عبودية السلطة ويقول شوقي ضيف ((ولم يكن منصور في كل هذه الأشعار مخلصاً ، بل كان يظهر غير ما يضمر ، إذ كان شيعيا إمامياً ، وكأنه كان يتخذ تلك الأشعار متجراً ، ليعيش آمناً ، ولينال ما يريد من طيبات الحياة ومتاعها معتمداً على ما يؤمن به الإمامية من التقية)) **(ضيف، العصر العباسي الأول، 1996)**، وهذه المبالغة جاءت نتيجة الترهيب الذي تمارسه السلطة بشكل عام سواء على المثقف أو على العامة من الشعب ؛ وبهذا يمكن القول إن الشاعر أسرف في تعظيم السلطة خشية منهم ، فأخضع شعره مضطراً لترسيخ دعائم النظام العباسي ، وخطاب النمري سواء كن بإسمِ الرهبة أو الرغبة أو كليهما معاً ، فأنه لم يكن سوى أداة طيعة في مشروع الهيمنة السلطوية .

ومن الخطابات الشعرية التي قامت على الترهيب السلطوي قول أشجع السلمي (ت 193هـ) في مدح هارون الرشيد، إذ يقول: (الحسونن، 1981)

بَــرَقَت سَمَــاؤُكَ فــي العَدوّ فَــأَمْطَــرَت هامــاً لهــا ظل السيــوف غمــام

رأي الإمــامِ وَعزْمُــهُ وَحُسامُــهُ جُنــدٌ وَرَاءَ المُسلِمِيــنَ قِيــامُ

وَإِذَا سُيوفُــكَ صَــافَحَت هَــامَ العِــدا طارت لهنَّ عــن الــرؤوس الهــام

وَصَلَت يَــداكَ السَيــف حيــنَ تَعَطَّلَــت أيدي الرِجــالِ وَزَلَّــتِ الأَقــدام

وَعَلَــى عَدُوَكَ يَــا ابْــنَ عَــمِّ مُحَمَّدٍ رصــدانِ ضوء الصبــح والإظــلام

فَإِذَا تَنَبَّــهَ رِعتَــهُ وَإِذا غفــا سَلَّت عَلَيــهِ سُيوفــكَ الأَحــلامُ

فالشاعر بهذا الخطاب يتغنى بجبروت وتسلط الرشيد، و يُشيد بقوته وحزمه، وهذا التغني يُسهم في ترسيخ مفهوم الاستبداد كمسوغ لاستخدام الترهيب لإخضاع الرعية ، وفي هذا السياق يتحول **" السيف"** إلى رمز للسلطة والقوة التي تُمارس على المجتمع، إذ يعكس الشاعر هذا الاستبداد من خلال استعمال المعادل الموضوعي المستمد من الظواهر الطبيعية **(البرق والمطر والغمام)**، فمنح الشاعر الخليفة هيبة وقوة مستمدة من السماء التي برقت وأضاءت بالسيوف ، والظل المهيب الذي تولد من احتشاد الغمام الذي يستدعي هطول المطر المتمثل ب **"هام العدا"** إذ صور الشاعر تساقط المطر عبر مشاهد مرعبة تثير الرهبة في ذهن المتلقي وتبث الخوف والرعب في أغوار نفسه، ثم يوازن الشاعر بين الترهيب والاطراء على صفات هارون الرشيد القيادية من خلال التركيز على تصوير قوة الخليفة ورهبة سلطانه بقوله **(رأي الأمام وعزمه وحسامه)** هذا يكاد يشكل((نظاماً محكماً للضبط الذي يصل حد الإخضاع التام، ويتجاوزه وصولاً إلى التعلق الرضوخي بالمستبد والإعجاب به، وهو ما يشكل منتهى مبتغاه الذي يؤزل سلطانه)) (حجازي، 2005) ، ويتحول الخطاب إلى مشهد دراماتيكي

قوي ، إذ ينطوي على مشهد تهريبي مؤطر بدلالات العنف والتهديد التي تعزز من قوة الممدوح بقوله **"سيوفك صافحت "** فتشير الى تواصل فعلي حميم بين سيف الخليفة واعداءه ،فيعكس انطباعًا بأن المعركة تتطلب قربًا جسديًا وعاطفيًا ، فيكتمل هذا المشهد المرعب بتطاير الرؤوس ،مما يعطي انطباعًا عن الفوضى والدمار الذي يُحدثه سيف الرشيد ، فيخلق حالة من الخوف والرعب العام الذي يُسهم في إخضاع الخصوم وتسليمهم لأوامر الخليفة .

ثم يبين الشاعر الخليفة هارون كرمز للقوة والهيمنة ، ويظهر دروره كحامي للمجتمع حين تعطلت أيدي الاخرين عن مواجهة الازمات ، فيقصي الاخرين ويهمشهم جاعلاً من الرشيد البطل المثالي، ثم يعطي الشاعر الخطاب بعداً دينيًا مشيراً الى القرابة مع النبي محمد ﷺ، ليعزز من شرعيته بحيث يتمن الحاكم من الاستناد إلى هذه الشرعية في ممارسة السلطة ، فالخليفة في حالة تأهب دائم لمواجهة الاعداء في الليل والنهار ، فهذه التناقضات الدلالية تشعر المتلقي بالتوتر والخوف ، وانهم في حضرة قائد يقظ دائماً، وكان الاعداء يتوجسون منه حتى في أحلامهم كأنه سيف مسلط على رقابهم ، إذ اصبح وجوده كابوس يلاحقهم في كل وقت ؛وبذلك تُظهر الرشيد كشخصية محورية في الحفاظ على أمن الدولة واستقرارها .

وهذا الخطاب القائم على التعظيم والتفخيم أثار في الخليفة الأريحية فأهتز طرباً لما سمع البيتين الأخيرين وقال: هذا والله المدح الجيد والمعنى الصحيح ، لا ما عَلَّلْتُ به مسامعي هذا اليوم)) (المعتز، 1968)وهذا ما كانت تطمح إليه السلطة العباسية الهيمنة على الخطاب الشعري فلم تعد ترضيها المعاني التقليدية بل تطمح إلى التنظير لسياستها وتبرير افعالها .

ومن خطابات الترهيب التي اعتمدت على توظيف الثنائيات المتقابلة (العطاء/العقاب، الرحمة /القوة) ليضفي على الممدوح توازناً يلائم هيبة الحكّام ، ومن ذلك قول الحسين بن المطير (ت170هـ) في مدح المهدي، إذ يقول (عطوان، 1990):

لَـهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيـــهِ لِلنَّـــاسِ أَبْـوس ... ويَوْمُ نَعِيـــــــــمٍ فِيـــــــهِ النَّاسِ أَنْـعُـــــمُ

فَيمطُرُ يَوْمَ الْجُودِ مِـــنْ كَفَـــهُ النّـَدَى ... وَيَمْطُرُ يَـــوْمَ الْبَأْسِ مِـــنْ كَفَـــهِ الـــــــدِّمُ

وَلـــــوْ أَنَّ يَـــوْمَ الْبُوسِ خَلَّى عِقَابـه ... علَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحُ عَلَـــى الْأَرْضِ مُجْـــرِمُ

وَلـــــوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُـــودِ خَلَّى نَوَالَـــهُ ... عَلـــى الْأَرْضِ لَـمْ يُصْبِحُ عَلَـــى الْأَرْضِ مُعْدِمُ

تأسس هذا الخطاب على ثنائية مُحكمة تخدم غرضي الإقناع (بالعدل) والردع (بالعقاب) ، إذ جمع الشاعر بين متناقضات تنبعث من أعماق الواقع السياسي في العصر العباسي، فأصبح الشعراء صوت السلطة المواري لأفعالها والمضفي الشرعية على حكمها، فالشاعر يُثير الدهشة بالتلاعب الذكي بسياق الترهيب والترغيب فبدل أن يسبق الوعدُ و اللين الترهيب _ كالعادة _ قلب الشاعر المعادلة ؛ فجعل سيف البطش يسبق غمامة الرأفة ؛ ليضاعف وقع الترهيب في نفس المتلقي ، فالصورة الأسطورية التي نسجها لكف الخليفة المتحولة بين الندى والدماء ، التي تمطر الندى في أيام الرضا ويوم البؤس تمطر الدماء جعلت من الخليفة الحاكم المطلق وإن سلطته الدنيوية قدر مقدس واجبة الطاعة ، وتابع في حشد المبالغات إذ صور قدرة المهدي على مد يد العون لكل محتاج في الأرض، بينما يمكن لقوة عقابه ان تقضي على كل من يعصي أو يجرم .ومن خلال استنطاق النص الشعري القائم على ترهيب المتلقي ، نستشف أن السلطة لم تكتفِ بتحويل الشاعر إلى بوق يردد شعاراتها ؛ بل

حولته إلى سجينٍ داخل قاموسها ، فهو يعرف أن كل كلمة تلمح إلى ضعف الحاكم قد تحول نصه إلى نبوءة موتهِ، لذا يندفع ليسجل رعب السلطة بحبر المبالغة ليضمن بقاءهُ تحت سقف الامتياز في بلاط السلطة .

ومن النصوص الشعرية التي اتكأت على أسلوب الترهيب الميثولوجي، لتعزز من سلطة الخليفة العباسي، قول الشاعر سلم الخاسر(ت 186هـ) في مدحه الهادي، يقول (العاشور، ديوان سلم الخاسر، 2017):

لَقَـــــدْ جَعـــــــلَ اللهُ فِي رَاحَتَيكَ حيـــــاةَ النُّفُـــــوسِ وَآجالهـــــــا

وَجَدْنَـــــاكَ فِي كُتُـــــبِ الأَوَّلِيـــــ ن مُحيـــــي النُّفُـــــوسِ وَقَتَّالَهـــــا

تكشف هذه الأبيات عن المديح المؤدلج الذي يصب في صالح الخليفة الهادي العباسي، موظفاً الدين والثقافة كأدوات لترسيخ سلطته، عبر آليات مُحددة تخلق حالة من الخوف والرهبة المقدسة تجاه الخليفة ، الذي يستمد صلاحياته من المشيئة الإلهية التي جعلت من **"حياة النفوس وآجالها"** في قبضته ، فهو يملك سلطة مطلقة على التحكم بالمصير الأخروي للناس مما يخلق رعباً في نفوسهم ، فالشاعر يختطف الصفات الإلهية وينسبها للخليفة فيحوله إلى "تابو" مقدس عبر ربط خطابه بنبوءات غيبية مُستلةٍ من أسفار الأولين مما يضفي عليه هالة من القداسة تجبر المتلقي على قبوله كحاكم شرع مقدس ، وهذا التلاعب بالعقل الجمعي واستغلال الإيمان الموروث بالأنبياء والكتب المقدسة لخلق وهمٍ بأن الخليفة استمرار لسلطة السماء فيصبح الخضوع له طقساً دينياً لا قراراً سياسياً، فالفكر الأسطوري يعمل على تقديم نموذج لهيمنة القوى الغيبية ، لكنه في الوقت نفسه يُخضع الإنسان لحالة من الخوف والتبعية ،إذ يحبسه في حالة من الرهبة والخوف من سلطانها، في حين يزعم الطغاة أنهم وحدهم من يمثلون تلك القوة أو يتحدثون نيابةً عنها.

ولم يقتصر خطاب الترهيب على الجمهور من العامة ، بل طال الترهيب الشعراء انفسهم ، إذا أظهر بعض الشعراء خوفهم ورهبتهم من السلطة من خلال تجاربهم الشخصية ، التي تعد انعكاس لبنية سياسية محكمة صاغتها الدولة العباسية لترسيخ سياستها عبر أسلوب الترهيب ،ومن هؤلاء الشعراء سلم الخاسر الذي يعتذر للخليفة المهدي في نص شعري يمزج فيه الخوف بالتملق والاستسلام للسلطة ، إذ يقول (العاشور، ديوان سلم الخاسر) (العاشور، ديوان سلم الخاسر، 2017):

إِنِّي أَتَتْنِي عَـنِ الْمَهْـدِي مَعْتَبَـةٌ تَكَـادُ مِـنْ خَوْفِهَا الْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ

اسْمَعْ فِدَاكَ بَنُـو حَـوَاءَ كُلُّهُـمُ وَقَـدْ يَحُـورُ بِرَأْسِ الْكَـاذِبِ الكَذِبُ

فَقَـدْ حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْـرَ كَاذِبَـةٍ يَـوْمَ المَغِيبَةِ لَـمْ يُقْطَعْ لَهَـا سَبَبُ

أَلا يُحالِفَ مَدْحِـي غَيْرَكُـمْ أَبَـدًا وَلَوْ تَلاقَـى عَلَـيَّ الغَـرْضُ وَالحَقَبُ

كَيْفَ الفِرارُ ، وَلَـمْ أَبْلُغْ رِضا مَلِكٍ تبـدو المَنَـايـا بِعَيْنَيْـهِ، وَتَحْتَجِبُ ؟

فَلَيْسَ إلا انْتِظارِي مِنْـكَ عَارِفَـةً فيهـا مِـنَ الخَوْفِ مَنْجـاةٌ وَمُنْقَلَـبُ

مَـوْلاكَ مَـوْلاكَ لا تُشْمِتْ أَعادِيَـهُ فَمـا وَرَاءَكَ لِـي ذِكْـرٌ، وَلَا نَسَـبُ

يكشف هذا النص عن الترهيب السلطوي التي الدولة العباسية تمارسه على الرعية ، فالشاعر هنا يوثق لحظة اختراق السلطة لإعماق الجسد والروح ، إذ يصور الترهيب كقوة تهز الكيان الداخلي للمتلقي " **تَكَادُ مِنْ خَوْفِهَا الْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ**" فالخوف من السلطة أصبح سارداً يوثق سياسة الترهيب التي تمارسها السلطة تجاه الأخر ، ليصدر الشاعر بخطابه هذا ترهيب ضمني أخر، وإنذار متخيل موجه لكل من يقرأ القصيدة ويفكر في معارضة السلطة ، ثم ينتقل الشاعر إلى خطاب التوسل" **اسْمَعْ فِدَاكَ بَنُو حَوَاءَ**" لأنه يدرك أن حياته رهينة بتصديق الحاكم له ، مقدماً البشرية كلها قرباناً رمزياً للخليفة ، مما يضفي على الخليفة طابع الهيبة والقوة التي تستحق أن يكرس الشاعر جل مديحهُ لصالحها ليكون شعرهم بمثابة ملاذاً أمناً لهم من بطش السلطة ، ليصل الترهيب في الخطاب الشعري إلى ذروته من خلال حالة الترقب والخوف التي يمر بها الشاعر إذ يستل القدرة والمشيئة الإلهية في الموت ويجعلها في يد الخليفة ، ليكون الصورة الأسطورية للسلطة الحاكمة في ذهن المتلقي ، وهذا الخوف والرهبة الذي يظهرها الشاعر في خطابه هو انعكاس لصورة السلطة المستبدة ، وتجسيد لفلسفة السلطة .

ومن المبالغات الشعرية المتجاوزة للمنطق التي صاغها الشعراء في وصف ممدوحيهم ؛إذ جعلوا منهم نماذج أسطورية تتعالى عن الواقع ، ففي مديح أبو نواس (ت 196هـ) للخليفة هارون الرشيد مهيب يخشاه حتى النطفة التي لم تُخلق بعد ، إذ يقول (الغزالي، 1953):

وأخفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حَتَّى أَنَّهُ لتَخَافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ

فيجسد الشاعر فكرة الترهيب كأداة فنية ذكية لرسم صورة الخليفة الأسطوري ، محولًا اياه من حاكم بشري إلى كائن متعالٍ تخضع له قوى الوجود الظاهرة والغيبية ، فالشاعر يستدعي صورة " **النطف التي لم تخلق**" دلالة لما هو غير موجود مسنداً إليه ردَّة الفعل وهي الخوف فيخلق تناقض درامي يرهب المتلقي فكيف لعدم أن يخاف؟ كانه لا يكتفي بوصف خوف الأعداء المحسوسين "**أهل الشرك**" بل يجرف المتلقي إلى عالم غيبي ، وهكذا يتحول المديح إلى طقوس تأليهية تعيد إنتاج الحاكم كمثال أسطوري تتجاوز هيبته الزمان والمكان، ((ولاشك في أن إسناد سمة الخوف ، إلى النطف مبالغة رأى فيها أبو نواس سمة الجدة والابتكار التي كان يسعى إلى صبغ فنه الشعري بها)) (جبر، م2008).

ولذلك نراه يعيد الفكرة في نص شعري آخر، يقول فيه (الغزالي ا.، 1953):

أَلِفتْ منادمة الدماء سيوفه فلقلما تحتازها الأجفان

حتى الذي في الرحم لم يكُ صورةً لفؤَادِه من خَوْفِه خفقانُ

فأبو نواس ينسج في البيتين نسقاً محكماً من الترهيب، عبر توظيف لغة عنيفة مروعةٍ تمجد دموية وإرهاب هارون الرشيد ،كأن إراقة الدماء طقس وجودي لا ينفصل عن سلطة الخليفة ، وأن سيوف الخليفة في حالة تأهب دائم ، وهذا تهديد لكل من يحاول أن يخرج عن طاعة الخليفة ، مما يخلق رعباً ورهبةً في نفوس الرعية، فهذا التكرار المُتعمد للفكرة يُشكل هالة أسطورية تحيط بالخليفة

من كل جانب ، ليتحول الرشيد في الوعي الجمعي إلى قوة مطلقة تتلاشى أمامها إرادة المخلوقات، وهذه القوة تؤسس لطاعة الخليفة كحتمية وجودية ، لا كخيار سياسي .

ومن الخطابات التي تدور في اطار المبالغات الشعرية تلك النصوص التي ساقها الشعراء يصفون فيها ممدوحيهم بأنهم ((غير مألوفي القدرات ، حيث يضفون عليهم صورا مثالية ، ويعطونهم وظائف اعتبارية ، يحاولون شيئًا فشيئًا إزالة ما يقربهم من الواقعي و الحسي ، وبالإضافة الى ذلك فهم يصوّرون المجتمع أكثر ضعفًا و أحراجا لتزداد حاجته الى الممدوحين الذين تغرق صورهم بالصفات الكاملة)) (شقرا، 2005)

وهذا ما ساقه مسلم بن الوليد (ت208هـ) في مدح هارون الرشيد، يقول (الدهان، 2009) :

أَظَلَّهُمْ مِنْكَ رُعبٌ وَاقِفٌ بِهِمُ حَتَّى يُوافِقَ فيهم رَأْيَكَ القَدَرُ

أَمضى مِنَ المَوتِ يَعفو عِنْدَ قُدْرَتِهِ وَلَيسَ لِلْمَوْتِ عَفْوٌ حينَ يَقْتَدِرُ

تتجسد دلالات الترهيب في هذا الخطاب الشعري في الرعب الذي يصوره الشاعر ككيان مادي يلفُّ الرعية ولا يفارقهم ،بقوله **"أظلهم منك رعبٌ"** مما يوحي بأن الخوف والرهبة حالة وجودية لا فكاك منها ، فالشاعر لم يسعَ إلى تمجيد هارون الرشيد فحسب بل تأسيس أسطورة سياسية ، فالقدر مفهوم مقدس مرتبط بالإرادة الإلهية ،لذا فإن ربط القدر بإرادة الحاكم يُكسب الأخير هالة من القداسة التي تحول قوته إلى قوة مصيرية تفوق قوة الموت نفسه ، فالشاعر هنا يصوغ عقد نفسي _سياسي بين الحاكم والمحكوم إذ يصبح الخوف من الحاكم مساويًا للخوف من القدر، وأن الترهيب الذي يمارسه الخليفة ((من تهديد فعلي ومدرك، يكاد يكون قدراً محتوماً لا مفر منه، يطلق آلية القلق الجذري على الكيان. كما ينشط هوامات الأذى غير المحدود، لدرجة أن التهديد حتى المتخيل منه يبدو واقعياً ومحتوماً ومادياً راهناً، يحل بدون تأخير أو إنذار أو ردع أو إمكانية حماية وتجنب)) (حجازي، الإنسان المهدور، 2005) ، ومن هنا يكشف الخطاب السياسي عن غايته في بثِّ رسالةٍ ترهيبية تعكس أيديولوجية العنف والإرهاب ،لا تستطيع الذات المخاطبة القدرة على التصدي لها أو معارضتها ، مما يؤدي غلى خضوع هذه الذات إلى إرادة الحاكم ومقاصده الاستبدادية.

وفي نص شعري آخر يكشف لنا المبالغة التي دأب عليها الشعراء في مدح الخليفة العباسي ، إذ جعل الخليفة كيانًا مرعبًا لا يجارى ، وهو ما أنشده أبو العتاهية يمدح المهدي خوفًا ورهبةً ، فيقول (احد الاباء اليسوعيين، 1887):

عَلِمَ الْعَالَمُ أَنَّ الْمَنَايَا سَامِعَاتٌ لَكَ فِيمَنْ عَطَاكَا

فَإِذَا وَجْهَتَهَا نحوَ طَاغٍ رَجَعَتْ تَرْعَفُ مِنْهُ فَنَاكَا

وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ بَارَتْكَ يَوْمًا فِي سَمَاحٍ قَصُرَتْ عَنْ نَداكَا

تكشف لنا الأبيات عن توظيفٍ بارع للمدح كوسيلة لنقل الترهيب السياسي من خلال الجمع بين التمجيد والاشادة بقوة الخليفة المطلقة ، إذ نسج الشاعر صورة مبالغ فيها للمهدي، تستمد سماتها من الذات الإلهية كالتحكم في الموت ، في محاولة لبثِّ الرهبة في النفوس ، بتصوير **"المنايا"** (الموت) كجنود تُنفذ أوامره دون نقاش **"سامعات لك"** وكأنه يمتلك سلطة مطلقة على الحياة والموت ، موضحاً مصير

المعارضين الذي أشار لهم **"بالطاغية "** مما يشعل خيال الجمهور في قوة وسرعة القمع السياسي الذي تمارسه السلطة ،ثم يكمل صورة الخليفة عبر مفاضلة سخاء الخليفة على قوة الطبيعة **"ولو أن الريح بارتك يوماً"** مما يضفي طابع القوة على الخليفة فالجمع بين الكرم والسلطة يُذكَّر بأن الخليفة قادر على العطاء والعقاب ، ويُمثِّل الجمعُ بين الكرم والقوة ذروةَ المدح في مفهوم الحُكم ،إذ يُعتبر اقتناء الملك لإحدى هاتين السِّمتين دون الأخرى مخالفًا للمشروعية أو غير فعّال، فالقوة المجردة من الكرم تُحوِّل الحاكم إلى طاغية مستبد، أما الكرم بدون قوة فهو تدمير للحكم يؤدي إلى الفقر (ستيتكفيتش، 2010).

وهذا النسق لم يكن نتاجاً أدبيًا بريئًا ، بل تبنته السلطة العباسية كجزء من استراتيجية سياسية لتأليه الحاكم ، ودعمته عبر رعاية الشعراء الذين يروجون لهذه الصورة ، مما حول المدح إلى أداةٍ للترهيب المبطن ، وقد أدى هذا إلى تشكيل عقدة خوفٍ جماعية، جعلت الانتماء للسلطة ضربًا من الإكراه الاجتماعي، وأن هذه المبالغات الشعرية لم تكن سوى ذراعٍ ثقافية للسلطة ،ساهمت في تحويل النظام السياسي إلى كيان يُمارس هيمنته عبر الخطاب ، هذا الضرب من المبالغات انتقده القاضي الجرجاني واعتبروه انحرافاً عن وظيفة الشعر، ووصفه **"بفساد العقيدة في الشعر"** لما يحمله من تماهٍ خطير بين الممدوح والإله عبر المبالغة المفتعلة (الجرجاني، 2010) .

ومن النصوص الشعرية المؤسسة لنسق الترهيب السياسي ،ما قاله أبو العتاهية في مدح هارون الرشيد ،يقول (فيصل، 2009):

هُوَ الْمَلِكُ الْمَجْبُولُ نَفْساً عَلَى التَّقَى ... مُسَلَّمَةٌ مِنْ كُلّ سُوءٍ عَساكرهُ

لِتَعْمَدُ سَيُوفُ الْحَرْبِ فَاللَّهُ وَحدَهُ ... وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَاصِرُهُ

و هارون مَاء الْمُزْنِ يُشْفَى بِهِ الصدى ... إذا ما الصدى بالريقِ غصت حناجره

وَزَحْفِ لَهُ تحكي البُرُوقَ سيوفه ... وتحكي الرُّعُودَ الْقَاصِفاتِ حَوَافِرُهُ

إذا نكب الإسْلامُ يَوْماً بنكبة ... فهارون مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّة ثائرة

وَمَنْ ذا يَفُوتُ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ مُدْرِكَ ... كَذا لَمْ يَفُتْ هَارُونَ ضِدٌّ يُنَافِرُهُ

في هذه الأبيات يجسد الشاعر نسق الترهيب السياسي عبر دمج القوة العسكرية بالشرعية الدينية ، ليرسخ صورة الرشيد في ذهن المتلقي كسلطة لا تقاوم ، ليشكل-الرشيد- مرجعية عليا تحمي شرعية السلطة العباسية ، ثم يسبغ على الخليفة هالة من القداسة بوصفه الملك المجبول على التقى" مما يضفي عليه هالة من القداسة ، تجعله كياناً فريداً خلق ليحمل صفات التقى بفطرة ، مما يعزز في نفس المتلقي صورة الحاكم المطهر عن الزلل ، بينما تحيل "عساكره المسلمة من كل سوء إلى قدرة عسكرية خارقة تحميه وتحصن سلطته، فالجيش ليس أداة عسكرية فحسب، بل تأييد الله لخليفته ، ثم ينسج الشاعر نسقاً ترهيبياً محكماً يجمع بين الرحمة المُشترطة والعنف، إذ شبه هارون بماء المطر فجعل رحمته مصدر حياة للناس ،لكن هذه الرحمة مُشترطة بالخضوع ، فالعنف هنا ليس فعلاً مباشراً ، بل تهديد وترهيب بالخنق لكل من يعارض السلطة ، والعقوبة المشار اليها ليست فقط جسدية فحسب بل نفسية "غصت الخناجر " توحي بخنق حرية الآخر ومصادرتها ، ويستمر الشاعر بحشد صور التي تعزز من قوة الخليفة عن طريق ترهيب الآخر وتخويفه من خلال التلاعب بالغرائز البدائية (البرق ، والرعد) فالشاعر يستثمر هذا الخوف ليحوله إلى خوف من سلطة الخليفة ، ولا يكتفي الشاعر بترسيخ هيبة الرشيد ، بل يصهرها في بوتقة الموت المحتوم ؛فالمعارض مصيره

الفناء تحت سيف الخليفة ، وهكذا يصبح الشعر سلاحاً في يدِ السلطة ؛فالإشادة بالأسلحة وصنيعها ،وتقوى وقوة الخليفة ليس مديحاً بريئاً ، انما هو تسليح المدح بالمخاتلة والعنف.

ومن النماذج الشعرية التي تجلت فيها مظاهر الترهيب السياسي ،ما قاله أبي تمام في مدح الخليفة المعتصم عند فتح عمورية ،يقول فيها (عزام، 1119):

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَغِبِ

ومُطْعَمُ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ ... يَوْماً وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ) مِنَ الرُّعُبِ

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلا يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

وفي هذا الخطاب يتجلى الترهيب السياسي عبر توظيف الرموز والدلالات الدينية والعسكرية ، التي تجعل من مديح الخليفة أداة لتمرير الترهيب والعنف الذي تمارسه السلطة ،فيتحول الخطاب إلى رسالة تهديد ووعيد مبطن، فالشاعر يربط حكم الخليفة بالحكم الإلهي عبر توظيف الدلالات الإلهية **" تدبير معتصم، بالله منتقم، لله مرتقب"** فجعل الخليفة مشتركاً بالصفات الإلهية ، وهذا يعزز من شرعية حكم الخليفة ، ويجعل الخوف من الخليفة مساوياً للخوف من الله ، ثم يعزز هذه القوة المستمدة من السماء بالقوة العسكرية مؤكداً أن سلطتها تمتد تحت الحجب ، وهذه الاختراق لروح المخاطب يجعله يشعر بالرعب من أفكاره أذا تخالف السلطة ،لأنها قادرة على كشف كل خفايا المتسترين، وتتصاعد وتيرة الترهيب إذ يضرب الشاعر نفسية المتلقي بصورة مرعبة تصور "جيش من الرعب" فجعل الرعب والخوف يسبق غزو الخليفة ، مما يجعل الانتصار بالترهيب قبل الحرب ، لأن الخليفة له قوة تفوق قوة البشر، فالشاعر يجعل من الخليفة أسطورة تحيط بها هالة من القداسة من جانب ، ومن القوة والعنف من جانب آخر، فأبي تمام جعل من الممدوح الخليفة المثالي مبرراً كل أفعال العنف وممارسات الترهيب من خلال توظيف الرمزية الدينية والعسكرية وغرسها في ذهن المتلقي لتحقيق الإخضاع التام والسيطرة عليه ،و تقديم الولاء والطاعة للسلطة العباسية المتمثلة بالخليفة.

الخاتمة :

أن الشعر في العصر العباسي الأول لم يكن مجرد تعبير فني ، بل تحول إلى أداة سياسية محكمة لترسيخ السلطة العباسية ، وذلك عبر خطابات شعرية تعتمد على الترهيب المتلقي ، مما يخلق حالة من الخضوع والطوعي أو القسري عند المتلقي.

التوظيف الذكي للرموز الدينية والثقافية والأسطورية في الخطابات الشعرية ، والتي تضفي طابع الترهيب السلطوي عليها ،كوصف الحاكم ب ظل الله ،أو خليفة الله)مما يعزز من شرعية السلطة وقوتها .

التكامـل بـين الإرهـاب الفكـري والإرهـاب المـادي الـذي تمارسـه السـلطة العباسـية إذ كـان الشـعر مؤكـداً علـى قـوة الدولة وممارستها إذ واكب القمع السياسي الذي تمارسه السلطة ، ليغرس الخوف في ذهن المتلقي .

الخضـوع القسـري وتكييـف المتلقـي نفسـياً لتقبـل واقـع السـلطة والإذعـان لهـا ، وتقـديم الـولاء والطاعـة لهـا حتـى وإن كـان الـولاء مبنـي علـى الخـوف ،وذلـك بسـبب خطابـات الترهيـب المسـتمرة التـي تحتفـي بـالعنف والـبطش والترهيـب كأداة للردع ، مما أدى إلى إخضاع الجمهور لصالح السلطة .

المراجع

ابراهيم الحيدري. (2015). *سوسيولوجيا العنف والإرهاب* (المجلد الأولى). بيروت-لبنان: دار الساقي.

ابن المعتز. (1968). *طبقات الشعراء* (المجلد الثانية). القاهرة -مصر: دار المعارف.

احد الاباء اليسوعيين. (1887). *الانواز الزاهية في شعر أبي العتاهية*. بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين.

أحمد عبد المجيد الغزالي. (1953). *ديوان أبو نواس*. القاهرة: مطبعة مصر.

احمد عبد المجيد الغزالي. (1953). *ديوان أبي نواس*. القاهرة: مطبعة مصر.

الطيب العشاش. (1981). *شعر منصور النمري*. دمشق- سوريا: دار المعارف للطباعة والنشر.

القاضي الجرجاني. (2010). *الوساطة بين المتنبي وخصومه*. بيروت -لبنان: المكتبة العصرية.

تغريد خليل. (2022). *هرمنيوطيقا عنف النص ،قراءة في خطاب السلطتين الأموية والعباسية*. بابل - العراق: مؤسسة دار الصادق الثقافية.

ثامر عباس. (2018). *انا وجحيم الآخر ديناميات العنف في المجتمعات المتشظية* (المجلد الأولى). دمشق- سوريا: دار نينوى.

جابر خضير جبر. (2008). *المبالغة في الشعر العباسي*.

حسين عطوان. (1990). *شعر الحسين بن المطير* (المجلد الأولى). بيروت -لبنان: دار الجبل.

حكيم عبد الرحمن البابيري. (2023). *نظرية قيام الدولة في مقدمة أبن خلدون* (المجلد الأولى). دمشق - سوريا: تموز ديموزي.

خليل بنيان الحسونن. (1981). *اشجع السلمي حياته وشعره* (المجلد الأولى). بيروت: دار المسيرة.

سالم القمودي. (1999). *سيكولوجية السلطة ، بحث في الخصائص*. القاهرة: مكتبة مدبولي.

سامي الدهان. (2009). *ديوان مسلم بن الوليد* (المجلد الثالثة). القاهرة: دار المعارف.

سوزان بينكني ستيتكفيتش. (2010). *القصيدة والسلطة* (المجلد الأولى). القاهرة: المركز القومي للترجمة والنشر.

شاكر العاشور. (2007). *ديوان سلم الخاسر*. بيروت: دار صادر.

شاكر العاشور. (2017). *ديوان سلم الخاسر* (المجلد الأولى). بيروت-لنان: دار صادر.

شكري فيصل. (2009). *ابو العتاهية اشعاره واخباره*. دمشق- سوريا: مكتبة دار الملاح.

شوقي ضيف. (1996). *العصر العباسي الأول*. القاهرة: دار المعارف.

شوقي ضيف. (بلا تاريخ). *العصر العباسي الأول* . دار المعارف.

عبد الاله عبد الوهاب العرداوي. (2012). *شعر سديف بن ميمون* (المجلد الأولى). الرنيم للنشر والتوزيع.

عز الدين عناية. (2011). *تحديات العقل الإسلامي عوائق التحرر وتحديات الانبعاث* (المجلد الأولى). بيروت-لبنان: دار الطليعة.

قصي الحسين. (2008). *أركيولوجية الفساد والسلطة* (المجلد الأولى). بيروت: دار البحار.

محمد الطاهر بن عاشور. (2007). *ديوان بشار بن برد*. الجزائر: وزارة الثقافة.

محمد الطاهر بن عاشور. (2007). *ديوان بشار بن برد* . الجزائر: وزارة الثقافة.

محمد بن جرير الطبري. (2003). *تاريخ الطبري*. بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية.

محمد عبده عزام. (1119). *ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج1*. القاهرة: دار المعارف.

محي الدين أبو شقرا. (2005). *مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي* (المجلد الأولى). الدار البيضاء - المغرب: المركز القافي العربي.

مصطفى حجازي. (2005). *الإنسان المهدور* (المجلد الأولى). الدار البيضاء- المغرب: المركز الثقافي العربي.

مصطفى حجازي. (2005). *الإنسان المهدور* (المجلد الأولى). الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.

نايل يوسف سيف. (يناير, 2007). السياسة دائما ضجيعة الفلسفة. *الدبلوماسي*، صفحة 30.